خديجة بنت عبد الحي

موريتانيا

شاعرة من موريتانيا، خنساء موريتانيا، تلاقت مع خنساوات المشرق العربي في الشجن، فشكلن هالة من الشعر الوجداني الحزين، وكل واحدة منهن جدول شجن ن تلاقت الجداول الحزينة فشكل نهر الأحزان لفقدان الأحباب،وما أكثرهن في الوطن العربي والإسلامي، فهذا الصوت الشعري الحزين سلوان كل قلب حزين.

هي الأم

نفى ضجعة السلوان عنكِ سريعا
ضجيج هموم لا يزال مريعا
همومي دبابير تحوم بمضجعي
فتلسع جفني إذ يروم هجوعا
وألتمس السلوان في غمرة الأسى
لأحسن في شأن العزاء صنيعا
فيخنقني الدمع السخين بغصة
تجيش فتأبى للحديث ذيوعا
طواك زمان هب بعدك هارباً
يسوق الليالي كالقطيع أُريعا
أثاثك فواح بذكراك لم يزل
لطلعتك الغرا يحن ضريعا

فسجادة تبكي التلاوة والدعا

وتبكي سجوداً فوقها وركوعا

ومسبحة حباتها ذرفت على

بساط المصلى حسرة ودموعا

ومصحفك المحبوب ثاو بركنه

يردد آيات العزاء خشوعا

حصدتِ مع المستغفرين لربهم

بالاصال والأسحار ثم زروعا

وأبقيتني في بلقع تستفزني

طوارق شوق كالسهام وقوعا

فأفلست مذ فارقتني وتراكمت

همومي وما عاد الربي ربيعا

كأن فطامي لم يكن وكأنني

فطمت وجرعت الهموم نجيعا

ولو كان سعيي مثل سعيك في التقى

لآثرت في الركب اللحاق سريعا

ولولا وصايا عنك كنت وعيتها

لأشفقت من ذكر الهموم جميعا

وما عرف الحساد أني حزينة

ولا كان حزني في الجموع أذيعا

ولم أترنم بالقوافي تعلة

ولا كان شعري في الرثاء بديعا

وكيف لهذا الشعر إطفاء حسرتي

فما هو إلا الزيت زاد سطوعا

أقول لقلبي حين ضج به الأسى

وعز عزاء واستمر صريعا:

فؤادي تمهل جئت آخر عصبتي

فكن لي بحظ الآخرين قنوعا

ولكن ذكراها تعود فتنبري

زوابع حزن لا تريد رجوعا

هي الأم في أحضانها العلم والهنا

ومن هديها تعطي البنين شموعا

سقى غيدق الريحان والروح روحها

وحلت مقاماً في الجنان رفيعا

بين خنساء الجزيرة،وخنساء موريتانيا:

تلاقى في هاتين القصيدتين، الشعر الآسيوي مع الشعر الأفريقي، شعر الجزيرة العربية وشعر موريتانيا. موضوعهما واحد وهو دمعة حرى على الوالدين، دمعة على والد، ونظيرتها على والدة.

وقد لمسنا لوعة التفجع والحرقة وتعدد المناقب، وتلفت المكان الذي كان يشغله كل من الفقيدين، كما لمسنا الشفافية في استعمال الوحدة اللغوية، والإيقاع الداخلي والخارجي، والقصيدتان من بحر واحد وهو البحر الطويل، ومثل هذا الموضوع بما فيه من عواطف جياشة هل يناسبه بحر غير البحر الطويل، هل يستوعب هذه الانفعالات الحزين بحر مثل هذا البحر بتفعيلاته الأربع في كل شطر ؟ والدعاء لنيل الجنان.

كما نرى أن كلاً من الديباجتين في القصيدتين ذات رواء وتناسب بين المعاني والمباني والصور.

تقول إنصاف معبرة عن لوعتها:

إذا جئت أبكي فالدموع منازل

وإن رحت عنه فالدعاء يشيع

وتقول خديجة:

فسجادة تبكي التلاوة والدعا

وتبكي سجوداً فوقها وركوعا

ومسبحة حباتها ذرفت على

بساط المصلى حسرة ودموعا

وهذا الإحساس بالمكان نراه مشتركاً بين الشاعرة المشرقية والشاعرة المغربية.

وختام قصيدة إنصاف:

تسائلك الغفران والعفو والرضى

وأعلى جنان الخلد يا رب نطمع

وختام قصيدة خديجة:

سقى غيدق الريحان والروح روحها

وحلت مقاماً في الجنان رفيعا

لقد تلاقى هنا الشعر الآسيوي مع الشعر الإفريقي الشقيق، شعر الجزيرة العربية بلد التوحيد والأصالة، مع شعر بلد يوسف بن تاشفين بطل الحروب الصليبية في المغرب الإسلامي، فكانت حفيدتا هذه البطولات مشتركتين في الأحاسيس والمشاعر، وكأنهما تنبعان من معين واحد.

ولقد عشنا مع هذين النصين لحظات من الشجا أضافت جديداً إلى فن الرثاء في شعرنا العربي المعاصر.